

10

جوهرة

وفاه ان عجيبه جدا



الجمال المزعجة

تأليف

علاء الدين طعيمة

دار الدعوة

نخادان عجيبان



- ❖ سلسلة ملينة بالإثارة والتشويق.
 - ❖ أغرب الرحلات والمفارقان.
 - ❖ تجمع بين المتعة والمعرفة.
 - ❖ لا غنى عنها في الرحلات والبيت
- والمواصلات

جوهرة

الرمال الملتهبة

* إخترق مؤمن جموع الجماهير
وقفز داخل الميدان وقال لشيخ
القبيلة أنا أتحدى هذا الرجل
وعلت ضحكات القوم وانفجرت
السخرية بالكلمات اللازمة وزاد
الصخب ...

* وفجأة أبهر مؤمن الجميع عندما
أطلق السهام الخمسة الواحد يسبق
ما قبله بسرعة مذهلة فأصاب
الخمسة أعواد فساد صمت
رهيب.

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي: ٢ شارع منشأ - محرم بك - الإسكندرية

ت: ٤٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٥١٦٩٥

مكتب توزيع القاهرة: ٣٨٣٢٧٤٧

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً

١٠

جوهرة

الرمال الملتهبة

حقوق الطبع محفوظة للناسر

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع القانوني

١٩٩٦/٥٩٤٧

الترقيم الدولي: 977-253-107-0

تحذير

لا يجوز تحويل هذه المغامرات إلى عمل سينمائي أو تليفزيوني أو إذاعي أو مسرحي أو شرائط فيديو إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناسر.

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ ش منشأ محرم بك الإسكندرية.

ت: ١٩١٤ - ٤٩٠٧٩٩٨ - فاكس: ٥٩٥١٦٩٥.

يطلب من الدار العربية للتوزيع

١٧ ش توفيق الهلالي - من فيصل - التعاون - الجيزة - ت: ٣٨٣٢٧٤٧

جوهرة الرمال الملتعبة

تأليف: علاء الدين طعيمة

رسوم : يسري حسن .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«مغامرات عجيبة جداً»

قمة الفرح أن يعثر الإنسان علي تاج أثري عتيق خال من الجواهر ولكن تكون هي قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى للعثور علي جواهر هذا التاج ، إنه يسافر في رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار فيتعرض للأخطار والأهوال ويرى نماذجاً غريبة من البشر وعجائب الأرض والسماء من الإنس والجن والأحياء والأموات وفي كل مغامرة بعد العناء والصراع مع المكان والزمان يفلح في إضافة جوهرة جديدة إلي التاج .

علاء الدين طعيمة

ليكن فى علمك أن المكان الذى تبغيه بعيد جداً... إنه بعيد عن الحياة لدرجة مخيفة... هناك الصحاري... شديدة الجفاف... الهواء أيضاً جاف... وسقوط المطر نادر جداً... إن من يعيشون هناك لا يحصلون على الماء بصورة منتظمة، بل هم فى صراع دائم من أجل الحياة... اعلم أن جسمك أيضاً لا يستطيع تكوين الماء ذاتياً... كما أنه لا يحوى مقصورات لتخزينه.

فإن كنت مستعداً لخوض الصحراء الملتهبة... فاعلم أن المرء يموت خلال خمسة أيام أو أقل إذا لم يكن لديه الماء... وأنت سوف تصطلى بحرارة لا تطاق... واحذر سكان الصحراء فهم ليسوا لطفاء

على الإطلاق وخصوصاً إذا كانوا من الطوارق...
ثم إنى أتعجب من صلابة رأسك أيها الغلام.. أى
«جوهرة» هذه التى تدفعك لخوض سفر لم يخضه
مدنى قبلك؟!!

كان مؤمن يتذكر هذه العبارات التى أخذت
صورة التحذير، والتى كان يتفوه بها بدوى من أقدم
قبائل الصحراء الغربية... عندما كان الأمر الجديد
هو التوجه إلى الصحراء الكبرى وقد كتب على التاج
كلمة «تو مبيكتو»... لقد استدل مؤمن على أن
هذه المدينة واقعة على الحافة الجنوبية للصحراء
الكبرى فى صميم قلب القارة الإفريقية... أراد
مؤمن أن يعثر على جوهرة التاج العاشرة... وبدأت
هذه الرحلة شاقة فعلاً والطريق وعراً خطيراً.

لقد عبر الصحراء الغربية لمصر من الشمال وتقابل مع البدو في كل محطة ، وعبر ليينا مستخدماً طرق القوافل ، ومر بجنوب تونس .

وها هو الآن على حدود الجزائر بعيداً عن البحر .
كان يحلم أن يعود إلى أمه حاملاً هذه الجوهرة . . . ولكن قلبه لم يكن مستريحاً . . إن الرحلة هذه المرة تعنى احتمال الموت عطشاً أو لدغاً أو جوعاً أو قتلاً .

ولقد انتظر أن يصاحب إحدى القوافل التي ستخترق الصحراء ناحية الجنوب ، ولكن يبدو أن هذا أيضاً كان من الأمور العسيرة فها هو يتقلب بين أسواق مدينة بسكرة الجزائرية دون أن يعثر

على مآربه، فمعظم القوافل لم تكن تبغى أكثر من بقعة القليعة، أو الاتجاه غرباً نحو العريشة قرب حدود المغرب العربي... وكان بعضهم يمينه بإمكان عثوره على من يحمله معه حتى عين صالح فى بداية الجنوب الجزائري.

وإن لم يكن هذا ليمثل نصف المسافة التى يحلم مؤمن بالوصول إلى متنهاها.

وجلس ذات يوم يعضغ بعض حبات اللبان وهو يفكر... ويقول فى نفسه « يا إلهي... يبدو أنه من المستحيل أن أصل لهذه التمبكتوتو... لا أعرف لماذا يقذف بى تاج جدى إلى هذه الأماكن مستحيلة الوصول؟... إنه لشئ عجيب، ماذا سيفيدنى أنا من هذه الرحلة العسيرة؟ ولقد بدأت من أولها أشعر

باليأس » .

مرت أيام وأيام وهو على حاله يتنقل فى حدود ضيقة ، ويتنسم أخبار القوافل .

وبدا أن أهل الصحراء أنفسهم لا يجرءون على مثل هذه المغامرات الخطرة .

كان يسير قليلاً حتى يبتعد عن العمران ، ثم يقف ناظراً فى اتجاه الجنوب . يتأمل الأفق اللانهائى ، وأحس بشرارة التحدى تشعل قلبه ، وأحس أن الصحراء تناديه وتحداه وتقول له « متى يمكنك اختراقى ؟ » .

ولقد صبر صبراً طويلاً . . وعاد إلى العمران يتنسم من جديد أخبار القوافل وقد قرر أن يسافر

مع أى قافلة إلى أى مسافة وقال فى نفسه « مالى أريد أن أحصل على توصيلة حتى تمبكوتو؟ على أن أقطع الطريق فى محطات... ومن كل محطة سأجد ما يساعدنى فى الوصول لأبعد منها ».

وكان القدر يخبئ له أمراً آخر... فلقد توقفت حركة القوافل تماماً هذه الأيام... وقال فى نفسه « لا يعقل أن أقطع هذه المسافات المرعبة وحدي... ماذا أفعل يا ربى؟ » وفى إحدى الأمسيات، بينما كان يتجول فى أحد الأسواق المضيئة... إذ وقع بصره على شاب أجنبى الهيئة وهو يتفق مع أحد البدو على شراء قطع من الجمال، ويبدو أن البدوى كان يستغل الموقف، ورفع السعر وغالى فيه... وبدأ الضيق على الأجنبى، ولكن مؤمن

سريع البديهة قرر أن ينقذ الموقف، فتدخل بين الاثنين بسرعة وقال للأجنبي:

— سيدي... أنا سمعتك تتكلم عن الجمال...
أنا أعرف مكاناً يباع فيه الجمل بنصف الثمن الذى عرضه عليك هذا البدوي... تعال معي..

انفجرت أسارير الأجنبى الذى كان يبدو على لكتته أنه انجليزى الأصل، وسار مع مؤمن، ولكن البدوى جرى وراءه ونادى عليه واستوقفه ثم قال له:

— سيدي... سأبيعك هذه الجمال بنصف الثمن.. ما رأيك؟

نظر الأجنبى فقال له مؤمن:

— أعتقد يا سيدي . . أن هذا البدوى صادق الآن
فبما قال . . اشترى منه قبل أن يرجع فى كلامه .

ونجحت الصفقة ، واشترى الرجل قطيع الجمال
من البدوى بنصف الثمن ، ولم يغادر السوق إلا
بـؤمن معه وقال له فى الطريق :

— أنا لا أعرف كيف أشكرك . . ما الذى دفعك
لـمؤمنى؟ فقال مؤمن :

— سيدي . . إن الساكت عن الحق كالشيطان . . .
كما أن ديننا يحثنا على تغيير المنكر بكافة الوسائل ،
وأنا أدركت أنك ستخضع وسيستغلك هذا البدوى
النصاب .

ظن الأجنبى أنه يمكنه إعطاء مؤمن مكافأة مالية
على صنيعه ، ولكن مؤمن رفض بشدة وقال له :



أنا لا آخذ مالاً على معروف ، ولا أنتظر منك الشكر... أنا أريد أجرى من الله وحده .

تباسط الأجنبي معه وقال :

— إذن فلنكن أصدقاء من الآن... أنا «جون»... جون أرثر بيكر... لقد تعلمت العربية وعرفت عن الدين الإسلامى الكثير، وأنا هنا من أجل هدف أسعى إليه منذ سنين .

فقال له مؤمن :

— وأنا مؤمن... من القاهرة عاصمة مصر...

وأنا أيضاً هنا من أجل هدف مهم فى حياتي... هل أكون متطفاً إذا سألتك عن سبب شرائك كل هذه الجمال؟ يبدو أنك على سفر .

قال جون:

- فى الحقيقة إن رحلتى طويلة جداً... أنا أعتبر
نفسى رحالاً مستكشفاً... تخيل يا مؤمن، أنا لا
أسعى من أجل التجارة، أو البحث عن كثر من
الكنوز، ولكنى سأقطع رحلة قد يكون فيها موتى
وجتفى، فقط حتى أشرح للدنيا تفاصيل هذه الرحلة
وأكتب للعالم عن كل تل وكثيب يقابلني... هذا
فى حد ذاته عمل عظيم... ثم إن هناك مدينة
نسمع عنها فقط، ولم يصل إليها أى من الرحالة
حتى الآن... أنا أجعلها وجهتى وهدفى الأخير
ومحطة الوصول.

ازداد شغف مؤمن بكلام «جون» وقال له:

— أى مدينة يا جون ستنوى الذهاب إليها؟

نظر جون نحو الأفق البعيد كأنه يراها على البعد
وقال ببساطة:

— تمبكوتو

كاد مؤمن يطير فرحاً في الهواء وهتف في
جون:

— أحقاً يا جون؟... إنها وجهتى أيضاً.. لكم
أنا سعيد لذلك.. أخيراً عثرت على من يصاحبني.
ابتسم الإنجليزى النحيل ذو الشعر الأصفر،
والعينين الزرقاوين والبشرة الحمراء وقال له:

— أنا أسعد منك يا مؤمن.. لقد تمنيت منذ
رأيتك أن أعرض عليك الفكرة... هيا حتى لا
نضيع الوقت... فأمامنا عمل شاق حتى نعد القافلة
للرحيل.

وهكذا فقد تم للغلام المسلم مؤمن أن يتجهز مع قافلة أعدت خصيصاً لخوض الرحلة، وكأنها على موعد مع قدره المحتوم.

وبعد ثلاثة أيام من التحضير والتجهيز، كانت القافلة ذات صباح تخرق قلب الصحراء الكبرى في طريقها إلى تمبكتو.

عشرة جمال محملة بالزاد والمؤن، وحمارين يحملان متاع مؤمن وجون.. أما جون فبذل جهداً عظيماً حتى يقنع أحد البدو من خبراء الصحراء؛ ليقيم على مثل هذه الرحلة كدليل للقافلة في غياهب الصحراء الموحشة.

كما أنه دفع مالا كثيراً لأربعة من البدو حتى يخرجوا معه في هذه الرحلة كمحنيين للجمال «ساحبو الجمال».

ومن ثم فإن الأمر لا يخلو من حاجة ماسة إلى بدوى طاه... يكون دارساً ماهراً لأساليب الطهى فى الصحراء وكيفية توفير الغذاء والماء... حتى هذه الكلاب المتوحشة التى تحرس القافلة... اشتراها؛ حتى يكون بذلك قد نفذ كل ما قرأه فى



كتاب رحلات الصحراء الذى حركه من البداية إلى المغامرة بحياته فى سبيل كشف الأماكن التى لم تكتشف من قبل .

وكانت القافلة كلها خاضعة لهذا الدليل خضوعها للقائد الخبير . . . فكلمته كحد السيف . . . فهو الذى يختار الطريق وهو المسئول عن سلامة الحيوانات والمؤن والعتاد . . . وهو الذى يقود الكلاب المتوحشة للحراسة .

كانت القافلة تسير فى قطار واحد، يسحبه رجل واحد، ويرتاح على الجمال آخران .

وفى الخلف رجل يتابع حركة الجمال، يدور حول القافلة ويركب بعض الأوقات للراحة ثم ينزل ويلم

وبر الجمال الذى يتساقط عن أجسادها دائماً،
فكانت خدمته حول القافلة سيارةً دائريةً.

وبعد نصف النهار يتناوبان الخدمة مع الآخرين ،
وهكذا كانت القافلة تتهادى متقدمة بخطوات فاتنة
فى حركة وثيدة يسمع لكل خطوة صوت الأجراس
المعلقة فى صدور الجمال .

وكانت بداية الرحلة مشجعة، فها هى القافلة
تقطع مسافات لا بأس بها... ولكنها فى الحقيقة لا
تعنى سوى نقطة مثل سن الإبرة على خريطة المسافة
إلى تمبوكتو.

ودار الحديث بين مؤمن وجون عن دوافع المغامرة
وحكى جون حكايته فقال:

لقد قرأت عن هؤلاء الرحالة الذين يجتوبون
الأمكن البعيدة عن العمران، ولقد سمعت وقرأت
عن ! لفرنسى «رينيه كاييه» الذى وصل إلى
تيكوتو قبل ذلك، ولكنه كان يتوقع أن يجد بها
القصور والكنوز... فلم يسعده الحظ بذلك... وإن
كنت أشك فى وصوله إلى هناك، وأجست أن
العالم يحتاج لمن يثبت كلامه بعد رحلته الطويلة أو
يكذبه ولقد وقعت فى نفس المآزق التى وقع
فيها، وأكاد أشبهه فى نفس بدايته... فعندما كنت
أبلغ من العمر الخامسة عشرة... جئت إلى أفريقيا
ولكن لم يسمح لى بالتوغل فى الصحراء.

وباءت محاولتى كلها بالفشل، وعدت مرة ثانية
فلم أفلح، وها هى المحاولة الأخيرة... لقد عشت

بين البدو وتعلمت عاداتهم ، ودرست لغة العرب ودينهم . . . وكان الأهالي يحسبون أننى مصرى قد اختطفنى بحار فرنسى وعشت فى فرنسا ، وتربت فى إنجلترا ، ويبدو أنهم قد صدقونى وعطفوا عليّ ، ورغم ذلك لم تكن معاملتهم طيبة إلى حد بعيد ؛ فلقد داوموا على معاملتى كعبد لديهم ولكن كل ذلك مكنتى بعد سنة كاملة أن أحصل على تصريح يمكّننى من السفر فى الصحراء . . . فلقد أذهلت موظفى القنصلية بموهبتى العربية البدوية .

كان مؤمن يتابع حديث الانجليزى جون باستغراب شديد وسأله :

— جون . . . عزيزى جون . . . ما هذا الذى يدفعك لكل هذا العناء ؟ مرتان تحاول السفر فى قلب

الصحراء .. ثم تمضى عاماً كاملاً تُعامل معاملة
العبيد .. لماذا كل هذا؟

ابتسم جون وهو يهتز مع حركات تقدم الجمل
وقال له :

— هذه هواية ولا أظن أن دافعى للرحلة أغرب
من دافع خروجك أنت أيضاً .. ثم إن هناك جائزة
كبيرة أعلنت عنها ملكة إنجلترا لمن يكتشف الصحراء
الكبرى . . . ها قل إذن .. ما الذى دفعك أنت
لخوض غمار هذا العمل الانتحاري؟!

ابتسم مؤمن وقال له :

— هذه حكاية طويلة . . . اسمع يا سيدى . . .
كان الحديث هو الملاذ الوحيد لهما من الملل .

فكل شئ الآن ما هو إلا رمل أصفر لا نهاية له... ولقد رفع الطاهى يده للدليل الذى كان يركب الجمل الأول «وتبادلا إشارات معينة كان نتيجتها... «استراحة»... للطعام وراحة للحيوانات.

وانتخب الدليل مكاناً صالحاً للمعسكر، وهبط الطاهى فأقام خيمة الطعام... ثم أشعل النار وأخذ يعد الوجبة، بينما كان باقى الرجال يعتنون بإطعام الجمال والكلاب.

ولقد تناولوا جميعاً طعامهم، وبدا أن الجميع فى حالة معنوية عالية.. وهكذا فبعد أن استراحوا قدم الدليل وقال لجون ان عليهم المبيت فى ذات المعسكر على أن تستكمل الرحلة فى الصباح الباكر.

وفى الصباح كانت النقطة تتحرك ببطء شديد فى

الصحراء الخاوية من أى شئ.

ولقد لاحظ مؤمن أنه كلما تقدمت القافلة تغيرت طبيعة الصحراء التى تسير عليها. . . لقد أصبحوا الآن يسرون على كثبان رملية عبارة عن تلال كبيرة تشبه الأمواج فى البحر ، وبدا أن هذا البحر الرملى لا نهاية له. . . ولقد انتهت الأحاديث، وانتصر الملل فى النهاية، وأصبحت الرحلة صامتة إلا من صوت الأجراس. . . والحرارة لا ترحم وكان الأرض التصقت بالشمس فى هذه الناحية.

وفجأة وبدون مقدمات سمعوا صوتاً غامضاً مخيفاً. . . فتنبه جون ومؤمن مذعورين، ولكن البدو لم يهتموا للأمر وهرع البدوى السائر نحو جون وقال له:

— لا تتبأس يا سيدى . . . إنها الرمال المغردة . . .
أو المطبلة

هل سمعت عن ذلك من قبل؟

ضحك جون رغم تكرار الصوت الرهيب وقال
لمؤمن المنبهر المذعور:

— هذه أول مرة أسمع هذا الصوت . . . ولكنى قد
قرأت عنه . فعند انزلاق بلايين الحبشيات الرملية على
السطوح المنحدرة لآلاف الكثبان يحدث هذا الصوت
له صدى قوى ؛ فيصنع دويًا هائلًا يروع القلوب .

وساد بعد ذلك الصمت القاتل . . . وامتد الخوف
لقلب الغلام مؤمن ، وأحس أنه قد ضاع وسط هذه
الصحراء .

ولولا مظاهر الحياة التى تسير معه لما ت رعباً ،

وسأله جون ليخفف من حدة الملل - بماذا تشعر يا صديقي... الآن؟

قال له مؤمن:

- أشعر أن الله أقوى وأكبر من أى اهتمام آخر بأى شئ آخر.

تعجب جون وقال له :

- ماذا جعلك تفكر فى الله الآن؟ المجال ليس مجال الدين هذا الوقت.

قال مؤمن:

- هنا فى هذا البساط الذهبى المتموج... ليس بينى وبين الله حجاب.

هذه الأرض، وهذه السماء، وأنا وربى، بالليل

كنت مستيقظاً أرى النجوم وأتعجب من صنعها،
وأحسست أننى الوحيد فى عالمنا الذى يحس بمعنى
وجود الله . . هذه الصحراء إعجاز يا جون .

ضحك جون وقال له :

— هذا ما أشعر به أنا أيضاً . . صدقني . . ولكن
ألا تشعر الآن أنك قريب من الموت يا مؤمن؟

قال مؤمن :

— لا ينبغي للإنسان أن ينسى الموت أبداً . . لا بد
أن يذكره فى المدينة والصحراء وفى البيت
والشارع . . إن ذكر الموت حياةً يا جون . لقد قال
رسولنا ﷺ [أكثرُوا من ذكر هادم اللذات] .

فامتعض وجه جون وقال :

- نحن نكره الموت ولا نحب أن نذكره أبداً...
فكيف تدبم ذكر الموت ويحثكم على ذلك رسولكم؟
فقال له مؤمن:

إن لنا داراً آخرة... لن تأتى إلا بعد الموت...
فلو نسينا الموت سننساها، ولا نعد لها العدة ولا
الزاد، فمن نسى الموت نسى الآخرة. ثم اعلم أن
حياتنا كلها تشبه هذه الرحلة التي نسير فيها أنا وأنت
« غرباء » ليس هنا مكاننا، ولا يمكننا أن نعيش في
هذه الصحراء... لا بد لنا من عودة، وعودة الإنسان
من رحلة الدنيا تكون في الآخرة حيث الحساب
والجزاء. لقد قال رسولنا ﷺ [كن في الدنيا كأنك
غريبٌ أو عابر سبيل] ويقول ابن عمر رضى الله
عنهما في ذلك « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا

الموت يذكرنا بنفسه حتى نذكره.

لم تمض دقائق حتى كانت القافلة تستعد لمواجهة عاصفة الصحراء... إن مؤمن وجون لم يكن أحدهما يدري معنى العاصفة الرملية في منطقة رمال متحركة وكثبان كال موج من الرمل الجاف الخفيف.

لقد صنعت خيمة سريعة والتفت الجمال حولها ثم بركت تحيط بها، وبالدخل تكدس أعضاء الرحلة وبدأت النذر.

صغيرٌ مخيف، ثم اشتداد لريح صفراء تحمل أطناناً من الرمل تقذف بها الوجوه، وفجأة عنت العاصفة وتحولت الصحراء إلى الجو وكأنها تتقلب من شرقها لغربها ومن أسفلها لأعلىها.

بعضهما . يتدحرجان كشجرة جافة في قلب
الصحراء وبعد زمن من المقاومة المستميتة . . .
مرت العاصفة ، وهذا الجو وترسب الغبار في الهواء
فحط بهدوء على كتيبان من رمل لم تكن إلا مقابر
للجمال والبدو والزاد والماء .

ولقد أخذ مؤمن وجون ينفضان عن نفسيهما
أكداس الرمل التي حُشرت في كل فتحة من
جسميهما ، وبدا أن جون قد أصبح خاوى
الوفاض ، ومؤمن أيضاً لا يملك إلا ملابسه . . . ها
هى الصحراء تتحدى من جديد . . وقفا ينظران
بحسرة حولهما . . . الكل قد اختفى ، والأفق
اللانهاى فى سكون يخرج لسانه من كل ناحية . .
هل السير سيكون شرقاً أم غرباً أم شمالاً أم

جنوباً؟

أين الماء؟ . . . خمسة أيام ثم الموت ما دام ليس
هناك ماء . . . أين الطعام؟ أين الحياة؟
فى أى بقعة من الدنيا هم الآن؟

صاح جون وكان لوثة قد أصابته فى عقله :

— مؤمن... لقد رأيت الله يا مؤمن... أنى
أراه الآن... نعم أراه... أراه كما سهرت أنت
بالليل حتى تراه... أراه بقلبي، إنه الآن يعلمنى
كيف أدعوه... وكيف أنه الواحد الذى يحى
ويميت...

جلس مؤمن على الرمل فى حيرة، فلما رأى حال
جون قال له :

انظر لقول الله تعالى فى أمرنا هذا يا جون لقد
قال :

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ

السماء وقال: ...

— هذا قدرنا يا مؤمن... الموت في هذه الغربة

الحارة القاحلة... ..

ضحك مؤمن بشدة وقال له: ...

— لا تكن أبلهاً يا جون... لا بد أن يكون ظنك

بالله حسناً وتوقع الخير، ولو كنت تراه شراً...

فثار جون وقال بسرعة ورعونة: ...

وأى خير فيما نحن فيه الآن؟... وماذا أظن من

الخير بعد الذى رأيناه الآن... كيف تحسن الظن

بالله؟

فقال مؤمن وابتسامته لم تغادر فمه:

— إن الله عند ظن العبد به... انظر... عند الظن

تجد الله . . أى ظن شئت . . لو كان ظنك بالله . .
 أنه سيصيبك بالخير وجدت الله عندك بالخير ، وإذا
 كان ظنك بالله أنه سيصيبك بالشر والحزن لوجدت
 الله عندك به . . . فهيما نحسن الظن بالله يا جون
 ونتوقع الخير . . . لأننا لا ندري ، ونظرتنا قاصرة عن
 تحديد الغيب ، فقد يكون فى هذه العاصفة خير
 ونجاة لنا من أمر كان أشد علينا منها .

بدا على جون أنه قد اقتنع بكلام مؤمن فقال له :
 - وماذا علينا أن نفعل الآن يا مؤمن ؟ أنا فى حالة
 يأس شديدة .

قال له مؤمن :

- علينا الآن بالراحة ومع الليل نبدأ السير إلى

اتجاه الجنوب ، فالنجوم سوف تدلنا على ذلك ، ثم
ان السير بالليل فى الصحراء محبذ لمن فقد الماء . . .
والله معنا يا صديقي .

هكذا المغامرة لا تعنى سوى المخاطر
والمفاجآت . . . فلقد كانا فى حالة يرثى لها ، وبدا أن
الحياة تنحنى للموت . . . فها هو جون قد تمكن منه
اليأس ، وأصبح يتمنى شربة ماء .

كل ما يطلبه هذا الإنسان « شربة ماء » أما مؤمن
إلى حد ما و رغم الخوف الذى ينهب قلبه كان رابط
الجأش يعلم ويؤمن بأن ما أصاب الإنسان لم يكن
ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه فهذا قدر الله .

ولكن الجفاف بدأ ينحل الجلد وبدأت الشمس

تشوى الجسد شيئاً... وقال جون بصوت بحيح :

- سنموت يا مؤمن.. إنا هنا فى المحطة الأخيرة.

ولقد سارا مشواراً طويلاً دون أن يعثرا على أى شئ، ومضت ثلاثة أيام دون ماء ، وانخدع جون فى الظهيرة بالسراب عدة مرات... يظن أنه الماء وكان يجرى لاهثاً وراءه وعندما يصل لا يجده شيئاً.

ولاحظ مؤمن عن بعد شيئاً تتقاذفه الريح، فلما أمعن النظر اعتقد أنه ملاءة من متاعهما الذى فقد فى العاصفة، فأشار لجون فضحك الأخير وقال له :

- ملاءة؟! . وهل سنشرب الملاءة يا صديقى

القتيل؟

أدرك مؤمن أنه لا جدال مع يائس... فجرى وراءها جرياً منك حتى أحضرها ، لقد تعلم جون

من مؤمن أن هذه الملاءة ستجلب لهما الماء . . فعندما أتى الليل فردها مؤمن وثبتها على أربعة أعواد من العشب الجاف ، وعندما لاح الصبح كان قد أصابها البلل بالندى فأخذ مؤمن يعصرها عصاراً في قربة الماء الخاوية التي كانت بحوزته .

فحصل في النهاية على جرعة ماء فرحاً بها ورطباً بها الشفاه المحمومة ، وكانت عوناً لهما على بذل الأمل في الصحراء .

ورغم ذلك القحط إلا أن مؤمن أشار على جون بأن يضع أذنه على الأرض يتسمع ، وهذه أيضاً تعلمها جون منه . . وذات مرة نام جون تحت ظل الملاءة فوضع أذنه على الأرض التي تغيرت تضاريسها من الرمال إلى سهول صخرية ملساء

تناثرت فيها تجمعات من جبال صخرية مخيفة الشكل والتكوين ، ونادى على مؤمن بإشارة من يده ، وأشار إليه يتسمع معه .

وكان ذلك ، فلقد تسمع مؤمن وجون وكل منهما ينظر للآخر وكأنه لا يصدق أذنه . . . وضحك جون وقال لمؤمن ببلاهة اليائس :

الماء هه ؟ هذا صوت ماء ؟ أليس كذلك ؟ مؤمن . . . لا شك أنه الماء . . . أليس كذلك ؟

قال مؤمن وهو ينظر فى ناحية الشرق من موضعها :

- صوت ماء . . هدير ماء . . أو أنها خدعة صحراوية أخزي . . .
على العموم . . ستتجه صوب الصوت .

سارا يهرولان رغم التعب الشديد، وبين الفينة والفينة يلصقان أذنيهما بالأرض، فأدركا أنهما يقتربان من الماء حقاً.

ولاح لهما تجمعٌ صخري من بعيد فتوجهها نحوه، ولقد شم جون رائحة الماء فجرى وجرى وراءه مؤمن.

وبدت بحيرة صغيرة يترقرق ماؤها في ضوء الشمس.

وقبل أن يلقي جون بنفسه في الماء. أمسكه مؤمن من خصره وأبعده وقال له:

— هل جنت يا جون؟! .. أنت تعلم أن شرب الماء البارد بعد هذا العطش والجفاف خطر مميت انتظر.

أخذ مؤمن يبلى شفتى جون بالماء، وبلىل ظمأه شيئاً فشيئاً، ثم شرباً جرعات خفيفة جداً، وأحسا براحة لذيدة فى الظل الرطب للجبل، وبدأ أن الحياة تضحك لهما من جديد.

ولقد فوجئ كلاهما بوجود بحيرة أكبر من السابقة وأن الماء ينحدر ببطء من أعلى الجبل ليصنع خريراً هو الذى سمعاه من بعيد، ولقد أدهشهما وجود أسماك فى هذه البحيرة الضحلة .

فكان جون يقفز سعيداً فى البحيرة وهو يمسك الأسماك .

ويقول بفرحة شديدة :

أسماك يا مؤمن . . . أسماك يا صديقي . . . لقد حصلنا على طعام . . . الطعام يا مؤمن . . . ها ها

ها . . . أسماك ساعد لك وجبة لن تأكلها فى أفخم
مطاعم باريس ضحك مؤمن وقال :

- الحمد لله . . . ربنا أوزعنا أن نشكر نعمتك
علينا . وقبيل الليل كانا يشويان أسماكاً كثيرة كبيرة ،
ونعما بوجبة هنية وبنومة لا يشوبها سوى الخوف من
العقارب والحيات . . إلا أن الرماد المشتعل كان بمثابة
أمان لهما من هذا النوع من الهوام .

ولقد بقيا يومين على هذا الحال حتى انتصب
عودهما من جديد ، وغزت الدماء هذه العضلات
الجافة ودبت القوة من جديد ، وبدا أنهما قد غنيا
الأمل مرة أخرى فى تحطيم أسطورة الصحراء .

ولكن هناك ما لم يعمل له أى حساب . . . جمال
كثيرة تظهر فى المكان ، وكأنها صاحبة الجبال ؛ قام



جون يهتف ويقول لمؤمن:

— ما كل هذا النعيم؟ مؤمن... يبدو أننا نحصل الآن على قافلة جديدة... الماء والأسماك والجمال، افعل شيئاً يا صديقى من أجل السيطرة على هذه الجمال.

ولكن مؤمن لم يكن على هذه الدرجة من التفاؤل.. فهي هو رجل ملثم يعتلى جملاً فارعاً وكان مدججاً بالسلاح.

اقترب منهما على حالتهما الرثة، ثم صاح صيحة غريبة، فأصبح المكان يضج برجال مثله يعتلون الجمال.

وصاح فيهما الرجل:

ألم يكن لعابر السبيل لديكم شفقة أو رحمة؟ نهره
الرجل مرة ثانية وقال له:

— أنت من الآن عبد، ونحن نربطك هنا حتى
تتعلم حياتنا دون أن يعلمك أحد، وبعد ذلك
سنحل وثاقتك أنت وصاحبك لتعملا كعبيد وسط
العبيد.

فهتف به جون قائلاً:

— هل لنا أن نعرف يا رجل . . أى قبيلة أنتم؟

فقال له الرجل:

— الطوارق.

سقطت الكلمة فى قاع أمعاء مؤمن . . لقد
تذكرها عندما حذره منها البدوى العربى فى بداية

الرحلة، وأدرك أنه سقط وصديقه في قبضة أخطر قبائل الصحراء... القبائل ذات البلثام الأزرق، فلا تلبس النساء لثاماً كالرجال. وإنما رجالهم يغطون وجوههم أسفل العينين بنقاب بلون ثيابهم الطويلة الزرقاء القائمة ذاتها، وهذا اللثام يطلقون عليه النقاب، يستعمل في الأساس للوقاية من تراب الصحراء، ولكن أحداً لا يعرف في الحقيقة لماذا لا يسمح الطارق بأن يُرى وجهه بتاتا حتى في خيمته الخاصة؟!

إنهم يعتقدون دائماً أن العمل شئ مهين.

فيحتفظون بالعبيد لخدمة الحقول وأشجار النخيل في واحاتهم ولحراسة قطعان الخراف والماعز والإبل، ويعتقدون أن المهنة المجيدة دائماً هي القتال.

وهكذا وجد مؤمن نفسه عبداً من ضمن الرقيق المستخدمين فى الخدمة . . . ولقد تجلد هو وصديقه الانجليزى جون، فكان تحت رحمة أى فرد من القبيلة حتى الأطفال منهم . . مرة يخرج كفلاح فى حقول صحراوية، ومرة يرعى الأغنام ، ومرة يطحن حبوب البقول، ويعصر الزيوت ، وليته كان يقابل بالمعاملة الحسنة هو وجون ؛ فلقد كانا يحرمان من الطعام فترات طويلة، ولا يعرف أى منهما . . من هو المسئول عن رعايتهما فى القبيلة فصارا يتسولان الزاد والماء . . حتى نفذ صبرهما .

وذات يوم خرجا بقطيع من الماعز فى أحد المراعى الغربية فدار بينهما حديث :

قال جون :



— مؤمن.. لابد أن نهرب.. لقد تحطمت
معنوياتي تماماً.

فرد عليه مؤمن قائلاً:

انتظني يا صديقي أن الفرار بسيط؟ ستكون على
رجليك ويكونون على الخيل والجمال... تهيم في
صحراء لا تعرف عنها أى شئ وهم يحفظونها عن
ظهر قلب... حتى إذا أفلحنا في الفرار...
سنعود مرة أخرى للعطش والجوع... لابد أن نجد
حلاً آخر... فأنا أيضاً نفد صبرى يا جون.

وذاث يوم فوجئ مؤمن وجون أن هناك تجمعاً
عاماً لكل شباب ورجال القبيلة فى الوادى الفسيح،
وبدا أن هناك أمراً جديداً... ولما سأل مؤمن أحد

الصبية قال له :

- هذه مسابقة فى الرمي . . . من يفوز بها سيخرج
فى القافلة المتوجهه للجنوب حيث المدينة والحياة
اللينة

فلاحقه جون :

- ومتى ستخرج هذه القافلة ؟

قال الصبي :

غداً . . . وهؤلاء الشباب يتصارعون اليوم من
أجل الفوز .

وبدأت المسابقة . . . كان الشاب المثلث يشد قوسه
تجاه خمسة أعواد من الشعير موضوعة على مسافة
بعيدة ، والفائز هو من يحرز أكبر عدد من الخمسة

باستخدام خمس رميات بالسهم، ولقد كان شيخ القبيلة يجلس وحوله كبارها يتابعون المسابقة، أما النساء والأطفال فكانوا فى الناحية الأخرى يصفقون لذويهم... وتقدموا الواحد تلو الآخر... من يصيب فوق العودين يعتبر فائزاً، ويحق له دخول تصفيات أخرى... حتى إذا أتموا عشرة رجال كانوا هم أفراد القافلة.

ولقد تابع مؤمن وجون المسابقة، فلاحظا أنه لم يتعد أى من الرجال أكثر من ثلاثة أسهم، إلا واحد أحرز أربعة أسهم، وفرح لأنه سيكون قائد القافلة وحاول بعده كثيرون حتى يحرزوا أربعة؛ فلم يفلح أى منهم، فوقف شيخ القبيلة. وقال لكل القبيلة: - واحد فقط هو الذى أحرز أربعة من خمسة؟!!

ألا يوجد رجل واحد يحرز مثله على الأقل؟ هل
فנית القبيلة من الرماة المهرة؟!!

لم يشعر مؤمن بنفسه عندما اخترق جموع
الجماهير وقفز داخل الميدان وقال للشيخ:

- أنا يا شيخ القبيلة... أنا أتحدى هذا الرجل.

وفجأة علت ضحكات القوم وانفجرت السخرية
تنطلق بالكلمات اللاذعة... وزاد الصخب، أما
جون فلقد رثى لحال مؤمن عندما دخل الساحة،
ودهش لجرأته.

وقال أحد الرماة مستهزأ:

لم يبق سوى العبيد... أن ينافسوا أسيادهم..
ارجع أيها الصبي وإلا رشقت السهم في قلبك.

ولكن شيخ القبيلة وقف، فساد الصمت،
وانتظروا ما سيقول... فقال:

هذا الغلام الشجاع قد تحدى... وعلينا قبول
التحدي... والسهم غلاب... والله إن فاز في
التحدي فله الحرية هو وزميله، وله عندى جملان
بزادهما.. أما إن خسر التحدي.. فلا حرية لهما
بعد اليوم أبداً.

تصيب العرق من جبهة جون وارتعشت
مفاصله... أما مؤمن فلقد ذهب إلى شيخ القبيلة،
وطلب منه قوسه وجعبة سهامه فأعطاه إياها.

وتقدم نحو خصمه وقال له :

ارم يا فارس الطوارق.

كان الآخر فارساً مشهوراً في القبيلة برميهِ،
وكانوا يعتمدون عليه في الصيد والحرب والغارات ،
فتقدم وشد قوسه فأصاب العود الأول والثاني
والثالث والرابع ، وحالفه التوفيق فأصاب العود
الخامس أيضاً.. فوقع جون على الأرض يندب حظه
عندما علت هتافات الناس معجبين بفوز صاحبهم،

أما الغلام المسلم مؤمن فتقدم إلى منصة الرمي واشرابت الأعناق وانحبس صوت جون وتطلعت العيون نحوه، ووقف فنظر إلى كل الحاضرين وظن جون أن مؤمن قد ضاع ولكنه شد القوس فساد صمت مهيب، وفجأة أبهر مؤمن الجميع . عندما أطلق السهام الخمسة الواحد يسبق ما قبله بسرعة عجيبة دون أن يحكم تصويبها وكأنه يلقي ببضع حصوات في الماء!! فأصاب الخمسة أعواد فساد صمت مهيب، ثم قال للشيخ:

- ماذا تقول في ذلك يا شيخ؟ أنا غير راضٍ عن هذا التحدي.... فلتضاعف المسافة، وليكن عوداً واحداً بدلاً من خمسة، وهكذا يكون التحدي.
زاد الصخب واعترض الناس: . فالمسافة

أصبحت شاسعة، والعود لا يكاد يبين . . ولكن
الفارس الطارقى لم يكن ليرفض التحدي . . . فلقد
شد قوسه وكأنه أطبق على أنفاس الجماهير وشد
جفونهم ففتحها، وفى الحقيقة لم يقدر علي إصابة
الهدف ، وطأطأ رأسه خجلاً.

أما جون فكانت حماسه الانجليزية قد جعلته
يهتف لمؤمن فلقد كان هو جمهوره الوحيد . . وبلا
مبالاة سدّد مؤمن قوسه وهو ينظر لجون . . وقال له :
بارك الله فى الإسلام يا جون وسدّد رميته . .
وانطلق السهم فقصم العود إلى نصفين ، فانقض
الفارس على مؤمن يريد قتله ، إلا أن الشيخ وقف
وصاح فيه فرجع .

وهكذا حصلا على الحرية، وحصل كل منهما

على جمل قوى وزاد يكفى بقية الرحلة وعادا من جديد إلى اختراق الصخراء العنيدة.

وفى الطريق قال مؤمن لجون:

- إن ما يقلقني.. هذا الفارس الذى تحديته.. إنه سيخرج غداً بقافلة مسلحة.. ويبدو أنه من النوع الذى لا يقبل الخسارة.. وأخشى أن يتبعنا.. فما العمل يا جون؟

قال جون :

- أسمعت من قبل عن سباق الجمال؟

فهمها مؤمن على الفور وقال له :

- يمكن لجمالين أن يجعلنا من العسير على قافلة اللحاق بنا إذا تسابقنا الآن... حقاً هيا.

اندفع مؤمن يتسابق مع جون بالجمالين حتى يزيدها
المسافة بينهما وبين الطوارق لأبعد منا يمكن، وبعد
فترة اعتدلاً في سيرهما ومضت أسابيع عديدة وهما
على حالهما بين السير والراحة والتعرض للهوام
والثعالب، وكان مؤمن ماهرأ في صيد الأرانب
البرية التي كانت وجبات دسمة لم يجلم بها جون..
ولقد قرب الماء على النقاد وأدركهما الخوف من
العطش، وبينما هما على حالتهما إذا بجون يهتف
لمؤمن:

- عزيزي مؤمن.. هناك عين للماء.... انظر
هناك.

نظر مؤمن إلى الأفق فرأى سرباً من الطيور
يحوم حول مكان ما لا يراه فقال لجون:

- أتظن أن هذه الطيور قد تجمعت فوق الماء؟... إذن هيا بنا ولا نضيع الوقت.

كانت تجمعاً صخرياً تحيط به عدة أسنة من الجبال القزمية، فاقتربا إلى أدنى حد، وكان عليهما التوغل أكثر من ذلك، وتقدما حتى اخترقا ممرات ضيقة وفجأة وجدا نفسيهما أمام أسدين غضنفرين كانا يلتهمان فريسة من الغزلان وبدا عليهما الجوع، ولقد أدركا أنهما سعيدا الحظ عندما أتت فريستان على جملين إلى وكرهما، ولقد صرخ جون ولم ينزل عن جملة، أما مؤمن فلقد وثب فقابل وثبة عظيمة من الأسد الأول فطوح ذراعه بالسيف فشج رأسه وأرداه فى الحال، أما الأسد الثانى فلقد التهم رقبة الجمل الذى كان يمتطيه جون وأوقعه على

الأرض ، ولما بدت من جون الحركة سحبته الأسد من جلبابه ، وجرى به وهو يصرخ ، ولقد فرغ مؤمن من الأسد الأول ، ولما رأى جون وسمع صراخه والأسد يفر به من المكان أخرج القوس ثم أرسل دفعة من السهام إليه فأنقذ جون فى اللحظة الأخيرة . . . وجرى إليه ليجده فى حالة ذعر شديدة . . . فأخذ يهدىء من روعه ، ولما اطمأن عليه ، عاد فأعمل سيفه فى الجمل المصاب فنحره واستغرقا وقتاً طيباً فى التهام كميات وفيرة من لحم الجمل بعد طهيها وجففا بقية اللحم فى الرمال الساخنة والشمس وحملا زاداً طيباً . . . وهكذا فلقد جرتهما الطيور التى كانت متجمعة لأكل فضلات الأسد إلى مغامرة غير محسوبة أسفرت عن تكملة

الرحلة بجمل واحد.

فكان يركب واحد ويمشى الآخر بالتبادل .. وبعد فترة طويلة نفذ الماء تماماً وعطش الجمل كما عطشا .. وكانت النهاية الحتمية هي نحر الجمل الثانى قبل أن يموت عطشاً، وقبل أن يموتا أيضاً ، فلقد أخرجوا الحوصلة المعوية التى كان مخزناً بها الماء فى بطن الجمل ، وشربا ماءها .

وهكذا عادا إلى السير على الأقدام ... تتوالى عليهما الأيام والليالي ، وكل منهما يحلم بالوصول إلى تمبكوتو ... المدينة الهدف .. النجاة قبل الموت .. كانت الصحراء كالحلة قاحلة حالكة ..

ومرة أخرى نفذ كل شئ ، وأصبحا كما أمسيا



يقاسيان الخطر الماحق وقال جون:

- ما أسرع طرق الموت بابنا في هذه الصحراء يا
مؤمن.

فرد عليه الآخر وقد تسلخت وجتيه وتيبست
شفتيه:

أحسن الظن بالله يا صديقي . . أنا أشعر بأننى
سأعانى، ولكنى أشعر بأننى لن أموت هنا.
وأصبح قرص الشمس يكبر ويكبر ويتسلط
عليهما.

وقال جون وقد بدأ يهذي:

- الشمس تهجم علينا يا مؤمن . . إنها
ستلتهمنا . . احذر يا مؤمن.

كانا لا يقدران على الحركة، وكان النوم يسيطر عليهما ساعات بعد ساعات .

وكلما أفاق أحدهما شعر بأنه يستسلم أكثر وأكثر، فيلقى نفسه في كف الرحمن . . . هذه لحظة التوكل العظمى . . . وناما قدر ما ناما، وأغشى عليهما كما كتب لهما، وضربتهما الشمس وصفعتهما برودة الليل، وأصبحا جزءاً من رمال الصحراء، وذهبا في سُبَاتٍ ، واعتقد كل منهما أنها بداية الطريق للآخرة .

ولكن مؤمن شعر بأن هناك أيدي تحركه، وأن الماء يبلل شفتيه، ولم يعد يحس بهذا الضوء القاتل . . ضوء الشمس .

وبعد فترة فتح عينيه ليجد جون نائماً معه فى خيمة بدوية، وعلى عامود الخيمة وعاء فخارى كان معلقاً، قام وشرب وأخذ يوقظ جون، فقام وشرب. وخرجاً من الخيمة ليجدا نفسيهما وسط خيام وجمال وحياة أخرى... ولقد أتى نحوهما بدوى طيب الوجه، فأخذهما وتوجه إلى خيمة أخرى كان فيها شيخ القبيلة ورحب بهما الرجل عكس ما حدث معهما عند الطوارق، وأعدت مائدة شهية، ولم يكن جون يصدق أنه قد عاد للحياة من جديد... وتسامر الجميع بالليل أمام بخروف يُشوى على النار، وعرف شيخ القبيلة كل القصة ونوى مساعدتهما فقال لهما:

اطمئنا... فالمسافة قريبة من هنا إلى تمبكتو...

إنه طريق تجارتنا وسيخرج معكما دليل قوى وبعض
التجار إلى هناك.

خرجت بالفعل قافلة بسيطة ، وبعد ما سارت
بمؤمن وجون مسافة تقل عن اليوم... استوقفهم
مؤمن فجأة ثم همس بكلمات فى أذن قائد القافلة ؛
فحول الجمال مرة أخرى فى طريق العودة.

وكاد جون يجن جنونه وصاح يلوم مؤمن :

- ما هذا ما الذى تفعله؟! لماذا ترجع بعد كل هذا

الجهد!!

فنظر له مؤمن وقال له :

ما كان أبداً أن أسكت عن الخطر الذى سيحيق
بقبيلة الرجل الذى أنقذنا من الموت وأكرمنا وأحبنا

وأوانا.

فصاح به جون:

- أى خطر يا صديقى بالله عليك؟؟؟!!

نظر مؤمن بوجوم وقال:

الطوارق... أنسيت أن القبيلة تقع فى نفس طريق قافلة الطوارق؟ وأنهم لن يدعوها حتى يدمروها وينهبوها؟

عاد مؤمن وأخبر الشيخ بما كان من أمر قافلة الطوارق.

فلاحظ شدة تأثر الرجل بالكلام، ولكن لم يتم الشيخ تفكيره حتى علت صيحات النساء خارج الخيمة وحدث هرج ومرج شديدين، وهب مؤمن

وجون من الخيمة ليريا أن الخطر أصبح واقعاً بالفعل.

عشرة من الفرسان الأشداء من الطوارق يغيرون على قبيلة هزيلة لم يكن أهلها على نفس كفاءة الطوارق لا في المبارزة ولا في الرمي . . . ودار قتال شديد . . أما جون فكان يستعمل السيف بجدارة ، وأما مؤمن فلقد حصد سبعة منهم بالقوس ، وقبل أن تراق قطرة دم واحدة كانت الأسهم قد أنت على العشرة . . . ولم يكن مؤمن ليقتل ؛ بل لقد كان السهم يصيب الأطراف .

فأصبح فوارس الطوارق أسرى لدى القبيلة في طرفة عين .

وأعجب الشيخ من شجاعة مؤمن وقدرته على

الرمي . . وأقيم في هذه الليلة حفل كبير ، ذبحت فيه الذبائح بعدد أفراد القبيلة . . . وتجهزت قافلة غير الأولى وتم صنع هودج فوق جمل كبير ، وفيه استظل مؤمن وجون طوال الرحلة ، أما الطوارق الغزاة فلقد كانوا مقيدين لبيعوا كرقيق في أسواق تبكوتو . .

واستمرت الرحلة وقتاً طويلاً . . ولكن الصحراء قد عزفت عن تكشير أنيابها مرة أخرى للرفيقين مؤمن وجون ، وبينما هما في الهودج قال جون :

- أرايت يا صديقي؟ . . . لقد نجانا الله وأوفى بوعده وعلينا نحن أيضاً أن نوفى بعهدنا . . . وأن نحمده ونشكره جهداً قوتنا .

ابتسم مؤمن وهو يشرب من قيرته ماءً عذباً بارداً

وقال :

- تأكد يا جون أن الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة . . ولو كانت تعدله ماسقى منها الكافر شربة ماء . . ما حاجة الله بشكرك له وحمدك؟! هذا لن يزيده ولن ينقصه .

تعجب جون وقال :

- إذن لماذا يطلب منا ذلك ما دام لا ينفعه في شيء؟!

قال مؤمن وهو ينظر من وراء ستارة الهودج عندما لاحت « تمبكوتو » من بعيد :

- إن الله يأمرنا بالعبادة والشكر حتى ننتفع نحن به ، فكلما شكرناه وحمدناه زادنا من فضله ليس إلا . . . ثم أبشر ها هي تمبكوتو .

وكادت الدموع أن تفر من العيون بعد كل هذه المعاناة، ودخلت الجمال مدينة الجنوب الصحراوى المخيف ، وارتمى الاثنان فى أحضان النجاة من الموت ، وجلس جون يدون فى مُذَكَّرَاتِهِ كل ما مر به فى هذه الرحلة ، ووصف الطريق بكل ما فيه من أخطار وأهوال، بقى هو ومؤمن زمنا طويلاً... يجوبان المدينة المتواضعة ، ولقد أبرق جون إلى إنجلترا من خلال المسافرين إلى حدود القارة على المحيط ، وعلى ضوء اكتشافه أرسلت له الحكومة من يوصله إلى البحر عن طريق غرب القارة، ولم يفارق مؤمن لحظة واحدة.

ولقد مرا برحلة عجيبة فى المحيط سنوردها فيما بعد فى قصة منفردة وعبرا مضيق جبل طارق فى أقصى غرب القارة ثم دخلا إلى البحر المتوسط .

وفى الجزائر أقامت البعثة الانجليزية للكشف الصحراوى حفلاً مهيباً.

كان مقرراً أن يحصل جون على جوهرة الملكة لاستكشاف الصحراء ، ولكنهم أدركوا قيمة هذا الغلام المسلم « مؤمن » وقدروا فضله على جون فكانت له هو الآخر جوهرة على مجهوده الضخم الكبير.

هكذا فلقد همس مؤمن فى أذن جون وقال له :

- لو كنت أعرف أن التاج عندما قال لى تمبكوتو كان يقصد ما رأيناه سوياً ما كنت خرجت إليها من البداية... ولكنها حكمة الله العظمى « أن الإنسان لا يعلم الغيب » ولكن صدقنى يا جون.. لقد استفدت من هذه الرحلة استفادة تفوق كل جواهر

الدنيا.. لقد أدركت أن الله يريني ويعلمني. إنه أكبر مما كنت أتخيل. أحبه يا جون.

نظر جون لمؤمن وقال له بهمس حتى لا يسمعه الناس:

- مؤمن.. ماذا على أن أقول إذا أردت أن أكون مسلماً؟

انفجر مؤمن بالفرحة وقال له:

- كنت على يقين أنك ستقول بعد هذه الرحلة

« لا إله إلا الله محمد رسول الله »

تمت بحمد الله تعالى.

وإلي اللقاء مع مؤمن في ...

مغامراته العجيبة جداً

مغامرات عجيبة جداً

- ١- جوهرة الكهف المسحور .
- ٢- جوهرة البحر السابع .
- ٣- جوهرة البركان الأحمر .
- ٤- جوهرة مملكة الموتى .
- ٥- جوهرة الأدغال المتوحشة .
- ٦- جوهرة الصقيع المظلم .
- ٧- جوهرة البريق الغامض .
- ٨- جوهرة المدينة المتحجرة .
- ٩- جوهرة ميناء المذبح .
- ١٠- جوهرة الرمال الملتهبة .
- ١١- جوهرة معبد الشمس .
- ١٢- جوهرة السحر الأسود .
- ١٣- جوهرة مصاص الدماء .

مع تحيات

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع